

العلاقات السياسية بين السلاجقة (٤٤٧-٥٩٠هـ/١٠٥٥-  
١١١٥م) والامارة القراخانية (٣١٥-٦٠٩هـ/٩٢٧-  
١٢١٢م) في العصر العباسي (٣٨٩-٥٢٥هـ/٩٩٨-١١٣٠م)  
منشور في مجلة كلية التربية/الجامعة المستنصرية العدد ٢  
٢٠٠٥ شباط

د.سعاد هادي حسن الطائي  
كلية التربية ابن رشد /قسم التاريخ

العلاقات السياسية بين السلاجقة والامارة القراخانية في العصر العباسي (٣٨٩-  
٥٣٥هـ/٩٩٨-١١٣٠م)

تباينت المواقف والعلاقات السياسية والعسكرية للسلاجقة مع الإمارة القراخانية فقد كانت قائمة على اساس تبادل المنافع والمصالح السياسية ، وعلى هذا الاساس فقد كانت هذه العلاقات خاضعة لمتغيرات عدة ، فجدتها تارة مستقرة ومضطربة تارة أخرى .

ففي سنة ٣٨٩هـ / ٩٩٨م وبعد نجاح القراخانيين في القضاء على الامارة السامانية ، - وكما ذكرنا في الفصل الثاني - تمكن الامير الساماني المنتصر ابو ابراهيم اسماعيل بن الامير الساماني نوح بن منصور من الفرار من معتقله في مدينة اوزكند<sup>(٢)</sup> . متكرراً بزي امرأة متوجهاً الى بخارى ومنها الى خوارزم وانضم اليه عدد من المؤيدين<sup>(١)</sup> .

وقد تمكن هذا الامير من إلحاق الهزيمة بالجيش القراخاني وبقيادة جعفر تكين وتكين خان ودخل المنتصر مدينة بخارى واستبشر أهلها بذلك ، الا انه ادرك انه ليس باستطاعته الصمود امام الجيش القراخاني طويلاً ، فهرب الى بلاد ما وراء النهر وهناك طلب المساعدة من سلجوق بن دقاق ، فاستجاب له ونجحوا في إلحاق الهزيمة بالجيش القراخاني قرب ضفاف نهر زرفشان ، والحقوا بهم هزيمة أخرى قرب سمرقند سنة ٣٩٤هـ / ١٠٠٣م ، فوقع عدد كبير من القراخانيين اسرى لدى الجيش السلجوقي الا ان سلجوق بن دقاق رفض تسليمهم للامير المنتصر طمعاً في الفدية ، وقد اثار هذا التصرف الشكوك والمخاوف في نفس الامير المنتصر معتقداً ان هناك اتفاق بين السلاجقة والقراخانيين ضده ففر هارباً الى مدينة آمل<sup>(٢)</sup> .

وقد قدم السلاجقة المساعدة له أيضاً في المعركة التي خاضها ضد القراخانيين قرب مدينة بورنمذ سنة ٣٩٤هـ / ١٠٠٣م والتي تمكن فيها من إلحاق الهزيمة بالقراخانيين ، الا ان هذا النصر لم يستمر طويلاً فسرعان ما تمكن الجيش القراخاني من إلحاق الهزيمة بالامير المنتصر فهرب السلاجقة من جيشه مدركين الهزيمة التي لحقت بالمنتصر<sup>(٣)</sup> .

كان لظهور السلاجقة على مسرح الاحداث السياسية قد أثار مخاوف القراخانيين ، خاصة بعد اشتراك السلاجقة في عدة معارك حربية ضدهم ونجاحهم في تحقيق النصر عليهم<sup>(٤)</sup>. وازدادت مخاوفهم من السلاجقة خاصة بعد ان اتجهت أنظارهم الى اسيا الوسطى التي كانت خاضعة لسلطة القراخانيين<sup>(٥)</sup>.

وقد حاول السلاجقة العمل على اثارة النزاع بين افراد الاسرة القراخانية والاستفادة من الصراعات السياسية التي كانت تنشب بينهم باستمرار .

لهذا عقد اسرائيل بن سلجوق حلفاً مع الامير القراخاني علي تكين لخوض حرب ضد الامير القراخاني ايلك خان ناصر الحق ، فقد كان الامير علي تكين مسجوناً عند الامير ارسلان خان اخي الامير ايلك خان ناصر الحق ، الا انه تمكن من الهرب من سجنه متوجهاً الى بخارى وظل خارجاً على سلطة القراخانيين وكان طامعاً بالانفراد في الحكم في بلاد ما وراء النهر ، وقد تمكن اسرائيل بن سلجوق وحليفة علي تكين من الحاق الهزيمة بالامير ايلك خان ناصر الحق وبقيا في بخارى<sup>(٦)</sup>.

وحاول الامير القراخاني ايلك خان ناصر الحق سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م بذور بذور الخلاف بين الاسرة السلجوقية ، فأرسل حملة عسكرية بقيادة القائد ألب قرا الذي اشتبك مع السلاجقة في عدة معارك ضارية ، الا ان السلاجقة نجحوا في الحاق الهزيمة بالجيش القراخاني وتمكنوا من قتل القائد ألب قرا<sup>(٧)</sup>.

واشتبك الامير القراخاني هارون بن سليمان شهاب الدولة ظهير الدعوة بغراخان مع السلطان السلجوقي طغرلبيك واخيه داود ، اذ كانا قد اقاما في بلاده واحتما به ، واتفقا على ان لا يجتمعا معاً عنده خوفاً من ان يغدر بهما ، وقد كان توقعهما صحيحاً ، فقد غدر الامير القراخاني بالسلطان السلجوقي طغرلبيك وألقى القبض عليه وأخذه أسيراً ، فأثار ذلك غضب اخيه داود ، وفي أثر ذلك سار بنفسه لإنقاذ اخيه من الاسر ، فارسل الامير القراخاني بغراخان جيشه لمواجهة السلطان السلجوقي داود ومحاربتة ، وقد تمكن السلطان داود من الحاق الهزيمة بجيش الامير

القراخاني وانقاذ اخيه من الاسر فكانت هذه اول مواجهة عسكرية حدثت بين السلاجقة والقراخانيين في تركستان<sup>(٨)</sup>.

وفي أثر هزيمة الامير القراخاني في هذه المعركة ، عمل على تحسين العلاقة بينه وبين السلاجقة ، فتحالف الامير بغراخان معهم ، وأخذ يحرضهم على شن الغارات العسكرية على املاك السلطان مسعود الغزنوي<sup>(٩)</sup>.

وبعد دخول السلطان طغرلبيك مدينة خراسان أرسل الامير القراخاني بغراخان رسالة له وعده فيها بأن يبعث له المال والرجال والعتاد ، قائلاً له : ( **أصمدوا وربطوا حتى نرسل لكم أي عدد من الرجال تريدون** )<sup>(١٠)</sup>.

الا ان السلطان الغزنوي مسعود سعى جاهداً للحيلولة دون تحقيق هدف القراخانيين والسلاجقة ، فعمل على عرقلة وصول الامدادات من القراخانيين الى السلاجقة ، وقد نجح في تحقيق ذلك من خلال عقد اتفاق مع أخ الامير بغراخان وهو الامير ارسلان خان<sup>(١١)</sup>.

وفي عهد الامير طغغاج خان ابو المظفر ابراهيم بن نصر ايلك الملقب عماد الدولة المتوفى سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م سعى جاهداً على اصلاح الامور والانشقاقات التي حدثت داخل الاسرة القراخانية ، وسعى جاهداً على تحسين العلاقة بينه وبين السلاجقة .

وتمت المصاهرة بينه وبين السلطان السلجوقي ألب ارسلان فقد تزوج ابنه ملكشاه من ابنة الامير طغغاج خان<sup>(١٢)</sup>.

الا ان العلاقات بين الطرفين توترت من جديد ، اذ شن السلطان السلجوقي ألب ارسلان بقواته العسكرية الغارات على اراضي الامارة القراخانية في سنة ٤٥٣هـ/١٠٦١م ، الا ان الامير القراخاني لم يحل هذه الازمة بالطرق العسكرية بل بالطرق الدبلوماسية ، فبعث رسالةً مع رسوله الى الخليفة العباسي القائم بامر الله (٤٢٢-٤٦٣هـ) / (١٠٣٠-١٠٧٤م) يطلب فيها من الخليفة ان يوقف اعتداءات

السلطان آلب ارسلان على املاك الامارة القراخانية ، وقد استجاب الخليفة لطلبه وكف الاذى عنه ، وبعث له الخلع ومنحة الألقاب الفخمة<sup>(١٣)</sup> .

لقد كان لهذا الامير اهتمام كبير في تثبيت قواعد النظام والاستقرار والامن في بلاده ، اذ لاحق اللصوص في كل مكان لحماية السكان وممتلكاتهم ، وتم في عهده القبض على اكبر العصابات خطراً على امن البلاد ، ووضع حداً لجشع التجار وارتفاع اسعار البضائع<sup>(١٤)</sup> .

وفي عهد ابنه الامير شمس الملك الذي تولى الامارة القراخانية سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٧م ، توترت العلاقات بينه وبين السلطان آلب ارسلان ، اذ حاول الامير شمس الملك ان يستقل بامارته عن سلطة السلاجقة ، وهذا الامر دفع بالسلطان آلب ارسلان الى التوجه الى بلاد ما وراء النهر ونجح في احباط معظم محاولات هذا الامير في الاستقلال بامارته ، وتمكن من محاصرة العديد من القلاع والحصون وتمكن من فتحها سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٢م<sup>(١٥)</sup> .

وفي نفس هذه السنة شن السلطان آلب ارسلان حملة عسكرية اخرى على بلاد ماوراء النهر الا ان هذه الحملة قد توقفت بسبب وفاته ، بينما تمكن الامير شمس الملك من فرض سيطرته على مدينة ترمذ وبلخ ، وفي طريق عودة هذا الامير هاجم اهالي مدينة ترمذ فرقة عسكرية من جيشه فأمر بأحراق المدينة الا انه امتنع عن فعل هذا تحت ضغط وطلبات سكانها<sup>(١٦)</sup> .

وفي عام ٤٦٦هـ/١٠٧٣م قام السلطان ملكشاه بهجوم عسكري على مدينة ترمذ الا انه فشل في تحقيق اهدافه بسبب غرق اعداد كبيرة من جنده في النهر<sup>(١٧)</sup> . غير ان هذه المدينة قد استسلمت له في سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م ، فقد كان واليها هو اخو الامير شمس الملك الذي قام باستقبال السلطان ملكشاه وعقد الصلح معه ، ثم عاد السلطان ملكشاه الى خراسان<sup>(١٨)</sup> .

الا ان الخلافات حول السلطة بين افراد الاسرة القراخانية قد اضعفت اركانها وأسسها واطمعت الاعداء فيها .

فقد نشب خلاف بين الامير شمس الملك وابناء الامير قدر خان يوسف ، وهما طغرل قراخان يوسف وبغراخان هارون ، غير انه سرعان ما تم عقد الصلح بينهما على ان تكون مدينة خجندة هي الحد الفاصل بين املاك الامير شمس الملك وخانات تركستان ، وهذا يعني ان الامير شمس الملك قد تنازل عن فرغانة ، وعن اراضي بلاد ما وراء النهر ولهذا فأن السكة التي ضربت في مدينة مرغينان<sup>(١٩)</sup> ، واخسكيت<sup>(٢٠)</sup> ، كانت بأسم طغرل قراخان وابنه طغرل تكين ، بينما ضربت السكة في مدينة تونكث<sup>(٢١)</sup> وغيرها بأسم الامير شمس الملك واسماء ابنائه<sup>(٢٢)</sup>.

وقد استغل السلاجقة استمرار الخلافات بين افراد الاسرة القراخانية لتحقيق أهدافهم فقد نجح السلطان ملكشاه في فرض سيطرته على مدينة اوزكند<sup>(٢٣)</sup>.

وفي سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م نقض الامير هارون بغراخان بن يوسف قدرخان حاكم كاشغر المواليق التي عقدها مع السلطان السلجوقي ملكشاه مما دفع السلطان ملكشاه للتوجه نحو مدينة كاشغر وتمكن من اخضاعها<sup>(٢٤)</sup>.

وقد بقى القراخانيون يحكمون بلاد ما وراء النهر مستقلين دون ان يخضعوا لاية قوة خارجية حتى عام ٤٨٢هـ/١٠٨٩م<sup>(٢٥)</sup>.

ففي عهد الامير احمد بن الخضر الذي تولى الامارة بعد وفاة والده خضر خان بن طمغاج خان بن ابراهيم سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م ، اشتد العداء بينه وبين رجال الدين لما ارتكبه من ظلم بحق الرعية ، اذ استنجد احد الفقهاء وبأسم الرعية بالسلطان السلجوقي ملكشاه<sup>(٢٦)</sup> ، وقد استجاب السلطان السلجوقي لطلبه وسار مع جيشه نحو مدينة بخارى سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩م ، وفرض سيطرته عليها ، ثم فرض سيطرته على مدينة سمرقند على الرغم من المقاومة الكبيرة التي واجهها<sup>(٢٧)</sup>.

اما الامير احمد بن الخضر فقد اوكل مهمة الدفاع عن ابراج المدينة لعدد من امرائه ، الا ان احد هؤلاء الامراء غدر بالأمير احمد وساعد السلاجقة في اختراق احد هذه الابراج ومن ثم فرضوا سيطرتهم على المدينة بأكملها<sup>(٢٨)</sup>. وبعد ان تمكن السلطان ملكشاه من فرض سيطرته على سمرقند ، اضطر الامير احمد الى الاختباء

في احد المنازل الا انه سرعان ما تم العثور عليه واخذ اسيراً الى اصفهان ثم عاد السلطان ملكشاه الى خراسان تاركاً في سمرقند من ينوب عنه في إدارة أمورها<sup>(٢٩)</sup>.

الا ان الاضطرابات عمت ارجاء مدينة سمرقند ومدن اخرى ، وثار عدد من المقاتلين من الجكل ، والذين كانوا يمثلون النواة الرئيسية في الجيش القراخاني ، وعلن هؤلاء عن سخطهم نتيجة اهمالهم وعدم تكريمهم ، وقد اضطر نائب السلطان ملكشاه في سمرقند الى الانسحاب الى خوارزم نتيجة اشتداد ثورتهم<sup>(٣٠)</sup>.

ونتيجة لذلك ارسل مقدم المقاتلين من الجكل كتاباً الى حاكم مدينة اتباش<sup>(٣١)</sup>، يعقوب تكين طالباً منه الحضور الى سمرقند ليتولى حكمها، وما ان وصل هذا الى مدينة سمرقند حتى قام بقتل مقدم الجكل، وقد اثار هذا غضب المقاتلين من الجكل ، وقد وصلت اخبار هذه الاحداث الى مسامع السلطان ملكشاه فسارع متوجهاً الى سمرقند ، وما ان وصلت اخبار دخول السلطان ملكشاه الى بخارى سارع يعقوب تكين عائداً الى مدينة اتباش، اما من بقي من جيشه في سمرقند فقد انضموا الى الجيش السلجوقي ، وفرض السلطان ملكشاه سيطرته على مدينة سمرقند للمرة الثانية وعاد بعدها الى خراسان تاركاً في سمرقند من ينوب عنه في تنظيم امورها<sup>(٣٢)</sup>.

الا أنه ولأسباب غامضة امر السلطان ملكشاه بأعادة الامير احمد بن خضر الى امارته سنة ٤٨٥هـ/١٠٩٢م ، الا ان حكمه لم يستمر طويلاً نتيجة لنزاع هذا الامير مع رجال الدين الذين اتهموه بالالحاد ، وافتى الفقهاء والقضاة في سمرقند فتواهم بوجوب اعدامه ، فألقوا القبض عليه وقُدم للمحاكمة متهمين اياه بالالحاد ، وعلى الرغم من انه قد انكر بما اتهم به الا ان حكم الإعدام قد صدر بحقه فأعدم سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م<sup>(٣٣)</sup>.

ويعد هذا الحادث دليل على النفوذ السياسي الكبير الذي كان يتمتع به رجال الدين والفقهاء في بلاد ما وراء النهر وفي عهد الامارة القراخانية<sup>(٣٤)</sup>.

وفي عهد امير سمرقند القراخاني قدرخان جبريل بن عمر ، الذي استغل فرصة تدهور الحالة الصحية للسلطان سنجر وكذلك الخلاف الذي نشب بين السلطان

بركياروق واخيه محمد ، ولشدة العداوة بين بركياروق وسنجر ، في تحقيق طموحاته السياسية ، خاصة ان احد امراء السلطان سنجر ويدعى كند غدي قد بعث رسالة الى الامير القراخاني قدرخان يشجعه ويحثه فيها على فرض سيطرته على املاك السلاجقة<sup>(٣٥)</sup>.

وقد استعد الامير القراخاني قدرخان لمواجهة السلطان سنجر ، وسار مع جيشه الذي يقدر بمئة ألف جندي الى مدينة بلخ سنة ٤٩٧هـ/١١٠٣ م محاولاً فرض سيطرته عليها ونجح أولاً في فرض سيطرته على مدينة ترمذ ، أما السلطان سنجر فقد سار ومعه ستة الاف جندي الى بلخ لمواجهة الأمير قدرخان ، وقد تمكن السلطان سنجر من الحاق الهزيمة بجيش الامير قدرخان مستغلاً فرصة خروجه للصيد ، وقد وقع الامير القراخاني اسيراً بيد السلاجقة ثم قتل بأمر من السلطان سنجر ، اما الأمير كند غدي فقد فر هارباً الى مدينة غزنة<sup>(٣٦)</sup>.

أما السلطان سنجر فقد بعث الى الامير محمد ارسلان خان بن سليمان بن داود بغراخان الذي كان في مرو وولاه سمرقند اذ كانت امه ابنة السلطان السلجوقي ملكشاه<sup>(٣٧)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن الامير قدر خان كان قد انتزع الملك من الامير ارسلان خان بن محمد سنة ٤٩٤هـ/١١٠٠ م ، ولصلة القرابة التي كانت تربط هذا الامير بالسلطان السلجوقي ملكشاه فقد اعاده الى منصبه<sup>(٣٨)</sup>.

ولكن سرعان ما اضطربت العلاقات بين السلطان سنجر والامير ارسلان خان من جديد ، ففي سنة ٥٠٧هـ/١١١٣ م ، وصلت الى مسامع السلطان سنجر سوء سيرة الامير ارسلان خان مع رعيته واهماله لشؤونهم وعدم تنفيذه لاوامره ، فسار اليه ، الا ان الامير ارسلان خان خشى مواجهته فبعث الى الامير قماج اعظم امراء السلطان سنجر طالباً منه ان يشفع له عند السلطان سنجر والاعتذار له عما بدر منه، فاشتراط الامير قماج عليه ان يحضر عند السلطان سنجر ويعتذر له بنفسه، فوافق على ذلك وعقد الصلح بين الطرفين<sup>(٣٩)</sup>.



كانت البوادر الأولى لضعف الأمانة القراخانية قد ظهرت منذ أن بدأت الخلافات والصراعات السياسية بين أفراد هذه الأسرة .

أن حدوث الانقسامات في داخل الأسرة القراخانية كان قد بدأ منذ عام ٤٣٣هـ/١٠٤١م ، فقد أنهى منذ بداية هذه السنة نظام الخانية المزدوج والذي كان يقوم على أساس وجود خان كبير يتولى رئاسة الأمانة القراخانية ويشاركه في ذلك خان آخر وهذا ما حدث بعد وفاة الأمير قدرخان يوسف في سنة ٤٢٤هـ/١٠٣٢م ، ونجاح الأمير القراخاني محمد بن أيلك نصر الملقب محمد عين الدولة من فرض سيطرته على مدينة أوزكند كخان اكبر منافساً في ذلك الأمير القراخاني سليمان بن قدرخان يوسف أكبر أعضاء الأسرة القراخانية الحاكمة سناً ، والذي كان يُقيم في مدينة ختن وكاشغر<sup>(٤٠)</sup> .

بينما تمكن الأمير القراخاني ابراهيم بن ايلك وهو اخو الامير محمد عين الدولة من فرض سيطرته على مدينة سمرقند كخان مشارك ، ومنذ ذلك الوقت ظهرت الى حيز الوجود أمارتان للقراخانيين أحدهما شرقية ومركزها في مدينة بلاساغون ومن ثم انتقل مركزها الى مدينة كاشغر والتي ضمت مدينة فرغانة الشرقية وكاشغر وبلاساغون وغيرها ، اما الأخرى فهي الأمانة الغربية مركزها في مدينة أوزكند ومن ثم انتقل مركزها الى مدينة سمرقند والتي ضمت بلاد ما وراء النهر وفرغانة الغربية وخجندة واوزكند<sup>(٤١)</sup> .

والفرع الشرقي للأمانة القراخانية أُطلق عليه الفرع الحسنی نسبةً الى جدهم الذي انحدروا منه وهو الأمير هارون أو حسن بغراخان حفيد الأمير ستق بغراخان، أما الفرع الغربي للأمانة القراخانية فأطلق عليه أسم الفرع العلوي نسبة الى الأمير علي حفيد الأمير ستق بغراخان<sup>(٤٢)</sup> .

وازداد ضعف الامارة القراخانية منذ ان تمكن الخطا من فرض سيطرتهم على بلاد تركستان وبلاد ما وراء النهر سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م . ففي عهد الامير القراخاني ارسلان خان محمد بن سليمان تعرضت بلاده لغزو الخطا ، اذ حاول هذا الامير

جاهداً حماية الحدود الفاصلة بين بلاده والصين وذلك لمنع تعرض بلاده لاي خطر من جهة الصين ، الا ان ملك الخطا كوخان أو (كورخان) - الصين وهو لقب لأعظم ملوكهم - قد خرج من بلاده متوجهاً الى تركستان وبلاد ما وراء النهر وانضم اليه عدد من الأتراك والخطا<sup>(٤٣)</sup> .

وعندما اقتربوا من حدود مدينة خجندة سنة ٥٣١هـ/١١٣٦م دخلوا في معارك ضارية مع الجيش القراخاني ، الا ان الهزيمة لحقت به وتمكن جيش الخطا من فرض سيطرته على مدينة سمرقند وبخارى وغيرها من مدن بلاد ما وراء النهر<sup>(٤٤)</sup> .

وبعث الامير القراخاني ارسلان خان رسوله الى السلطان السلجوقي سنجر طالباً منه العون ، فلبى نداءه وجمع عساكره وبصحبته ٧٠ الف فارس ، وقد شارك امير خراسان وسجستان والغور<sup>(٤٥)</sup> وغزنه ومازندان وغيرهم في مساعدة الامير القراخاني ، فبلغ عدد الجيش مائة الف فارس فسار السلطان السلجوقي سنجر قائداً هذا الجيش فعبر بلاد ما وراء النهر سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م ، وما ان وصل الى مدينة سمرقند فأقام بها ، وهناك وصله كتاب من كورخان ملك الخطا يطلب منه الشفاعة في الأتراك القارغلية او (القارلوق) والعفو عنهم، الا ان السلطان سنجر لم يرض بذلك وكتب رسالةً الى كورخان ملك الخطا داعياً اياه لأعتناق الدين الاسلامي ويهدده ويتوعده ان لم يستجب لذلك<sup>(٤٦)</sup> .

الا ان كورخان ملك الخطا لم يستجب لذلك واستعد لخوض المعركة ضد السلطان سنجر فالتقى الطرفان في منطقة قطوان ، وقد نجح كورخان ملك الخطا في فرض حصاره على الجيش السلجوقي ودفعهم الى التجمع في واد يدعى وادي ديرغم<sup>(٤٧)</sup> ، وبدأ القتال بينهما وكان الأتراك القارغلية هم اشد الناس قتالاً مع جيش الخطا ، وقد تمكن هذا الجيش من الحاق الهزيمة بجيش السلطان سنجر وقتل اعداد كبيرة من جيشه واسر اخرون واسرت زوجة السلطان سنجر ثم اطلق سراحها فيما بعد مقابل دفع الفدية ، وبذلك استقرت دولة الخطا والترک الكفار في بلاد ما وراء النهر<sup>(٤٨)</sup> .

بعد أن فرض الخطا سيطرتهم على تركستان وبلاد ما وراء النهر سنة ٥٣٦هـ/١١٤١ ، واجهوا عدة تحديات سياسية وعسكرية هددت كيانتهم السياسي في هذه البلاد .

ففي سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م توجه خوارزمشاه علاء الدين محمد بن تكش الى بلاد ما وراء النهر للاطاحة بالخطا بعد ما نشروا في هذه البلاد الظلم والفساد والطغيان ، وذلك استجابة لطلب المساعدة التي بعث بطلبها اليه الامير القراخاني نصره الدين قلج ارسلان خاقان عثمان بن قلج طمغاج خان ابراهيم الملقب بلقب خان خانات - أي سلطان السلاطين -<sup>(٥٠)</sup>.

وقد تضمنت رسالته ما يأتي : ( ان الله عز وجل قد اوجب عليك بما اعطاك من سعة الملك وكثرة الجنود ان تستنقذ المسلمين وبلادهم من ايدي الكفار وتخلصهم مما يجري عليهم من التحكم في الاموال والابشار ونحن نتفق معك على محاربة الخطا ونحمل اليك ما تحمله اليهم ونذكر اسمك في الخطبة وعلى السكة )<sup>(٥٠)</sup> فأرسل اليه خوارزمشاه محمد رسالة يقول له فيها: (اخاف انكم لا توفون لي)<sup>(٥١)</sup>.

وكدليل على صدق نوايا الامير القراخاني بعث اليه بوجوه اهل بخارى وسمرقند مؤكدين على صدق ووفاء الامير القراخاني بوعدده له ، فأمن خوارزمشاه محمد لنوايا الامير القراخاني وجمع عساكره عابراً نهر جيحون والتقى بالامير القراخاني في مدينة سمرقند، وقد وصلت اخبار تحشداتهم الى الخطا فحشدوا عساكرهم والتقى الطرفان في معارك ضارية<sup>(٥٢)</sup>.

وقد وقع خوارزمشاه محمد اسيراً بيد الخطا في احد هذه المعارك الا انه تمكن من النجاة بمساعدة احد الأمراء المدعو ابن شهاب الدين مسعود الذي كان معه في الأسر فعاد الى خوارزم واستبشر أهلها بقدمه<sup>(٥٤)</sup>.

وتجددت الحروب بين القراخانيين والخطا ، في سنة ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م واجتمع خوارزمشاه محمد مع الامير القراخاني سلطان السلاطين عثمان لملاقاة جيش الخطا عسكرياً ، وجرت حروب لم يكن لها مثيل في الشدة ، وتمكن جيش خوارزمشاه محمد والامير القراخاني فيها من الحاق الهزيمة بالخطا وقتل اعداداً كبيرة منهم ووقع آخرون في الأسر واسرّ قائدهم طانيكو وأحضر الى خوارزمشاه فأحسن اليه واکرمه ، وتوجه خوارزمشاه محمد الى بلاد ما وراء النهر وفرض سيطرته عليها وعلى جميع مدنها حتى بلغ مدينة اوزكند واقام نوابه فيها وعاد هو الى مدينة خوارزم ، وعقدت مصاهرة سياسية بين الطرفين اذ تزوج الامير القراخاني من احدى بنات خوارزمشاه محمد ، ووفى الامير القراخاني بجميع وعوده لخوارزمشاه محمد<sup>(٥٤)</sup> .

الا ان الامير القراخاني سرعان ما شعر بالندم لاستتجاده بخوارزمشاه محمد وطرد الخطا ، وذلك بسبب سوء سيرة المقاتلين الخوارزميين في سمرقند مع اهلها ، فبعث رسالة الى ملك الخطا يدعوه للحضور الى مدينة سمرقند وتسليمها له وليدخل في طاعته من جديد ، وامر بقتل الخوارزميين الموجودين في مدينة سمرقند واراد قتل زوجته وهي ابنة خوارزمشاه محمد الا انها طلبت منه ان يعفو عنها ويتركها وشأنها فأستجاب لها وتركها<sup>(٥٥)</sup> .

ووصلت اخبار كل ذلك الى خوارزمشاه محمد فأمر بقتل كل من في خوارزم من الغرباء ولاسيما من اهل سمرقند ، الا ان والدته منعتة من ذلك فأستجاب لطلبها، ثم امر بتجهيز الجيش وسار نحو بلاد ما وراء النهر متوجهاً نحو مدينة سمرقند<sup>(٥٦)</sup> . وبعث رسالة الى الامير القراخاني قائلاً له فيها : ( قد فعلت ما لم يفعله مسلم واستحللت من دماء المسلمين ما لا يفعله عاقل ولا مسلم ولا كافر وقد عفا الله عما سلف فاخرج من البلاد وامض حيث شئت . فقال : لا اخرج وافعل ما بدا لك )<sup>(٥٧)</sup> .

فأصدر خوارزمشاه محمد أوامره لجيشه باقتحام مدينة سمرقند واقامة السلام على سورها ، وتمكن من فرض سيطرته عليها واذن لعسكره بنهبها وقتل من يجدونه في سمرقند واستمر النهب فيها لمدة ثلاثة ايام ، وتوجه بعدها نحو القلعة فطلب الامير

القراخاني الامان من خوارزمشاه محمد الا انه رفض ذلك ، وتمكن جيشه من فرض سيطرته على قلعة المدينة واسر الامير القراخاني الذي قتل صبراً تنفيذاً لأوامر خوارزمشاه محمد وقتل معه عدد من اقاربه ، وبذلك فرض خوارزمشاه محمد سيطرته على جميع املاك القراخانيين منهيماً بذلك السلطة الفعلية لأمارتهم سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م وذكر سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م - وذكر غير ذلك - ، وبذلك خضعت تركستان وبلاد ما وراء النهر لسلطة الامارة الخوارزمية<sup>(٥٩)</sup> .

أن اختلاف المصادر التاريخية في تحديد السنة التي أنتهت فيها الأمانة القراخانية بمقتل آخر أمرائها وهو الامير عثمان يعود الى الغموض الذي يكتنف تاريخ هذه الأمانة .

الا أن بوزورث ذكر أن مقتل الأمير القراخاني عثمان ونهاية الإمارة القراخانية كان في سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م<sup>(٥٩)</sup> .

وانا أرجح هذه الرواية رغم انفراد بوزورث بذكرها ، وخير دليل على ذلك أن بعض المصادر التاريخية ذكرت أن الأمير القراخاني عثمان وبعد تحالفه مع خوارزمشاه محمد وانتصارهما على الخطا سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م ، أقام الأمير عثمان القراخاني سنة كاملة في خوارزم بعد زواجه من احدى بنات خوارزمشاه محمد وبعدها عاد معها الى سمرقند<sup>(٦٠)</sup> ، أي أنه امضى طوال سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م وربما عدة أشهر من سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م في خوارزم ومن ثم عاد مع زوجته في هذه السنة الى سمرقند وبعدها أعلن تمرده على خوارزمشاه محمد واستنجد بالخطا ضده .

واضاف بوزورث أن عدداً من الامراء القراخانيين بقوا يحكمون في مدينة فرغانة بعد نهاية السلطة الفعلية للأمانة القراخانية في معظم مدن تركستان وبلاد ماوراء النهر سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م ، وأن فرعاً مستقلاً منهم قد أسس مركزاً في مدينة فرغانة بعد أن فرض الخطا سيطرتهم على بلاد ما وراء النهر سنة ٥٣٦هـ/١١٤١م ، وتمكن أحد الأمراء القراخانيين المدعو أرسلان الذي بقى يحكم هذا الفرع من الامارة القراخانية في فرغانة من الاطاحة بسلطة الخطا واعترف بسلطة زعيم المغول

جنكيزخان ، والظاهر أن هذا الفرع أستمر بوصف اعضاءه حكماً على فرغانة تحت إمرة وسلطة المغول لسنواتٍ عدة<sup>(٦١)</sup> .

أن انفراد بوزورث بذكر هذه الرواية تثير الشك حول صحتها ، اذ لم أعر على رواية مماثلة لها في المصادر التاريخية الأخرى .

ومهما يكن الأمر فأننا نعدُّ مقتل الأمير القراخاني عثمان وعلى يد خوارزمشاه محمد سنة ٦٠٧هـ/ ١٢١٠م هي النهاية الحقيقية والفعلية لسلطة الأمانة القراخانية في تركستان وبلاد ما وراء النهر .

## \*هوامش البحث

١. النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص ١٤٨ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج ٤ ، ص ٤٧٢ ؛ بارتولد ، تركستان ، ج ٢ ، ص ١١٩ .
٢. النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص ١٤٨ و ١٤٩ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج ٤ ، ص ٤٧٢ ؛ بارتولد ، تركستان ، ص ٤٠٧ - ٤٠٩ ؛ فامبري ، ارمينوس ، تاريخ بخارى ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .
٣. النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص ١٤٩ ؛ ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٤٧٢ ؛ بارتولد ، تركستان ، ص ٤٠٩ .
٤. ادريس ، محمد محمود ، تاريخ العراق ، ص ٦٦ .
٥. ادريس ، محمد محمود ، تاريخ العراق ، ص ٦٦ .
٦. ابن خلدون ، تاريخ ، ج ٤ ، ص ٤٩٥ ؛ ادريس ، محمد محمود ، تاريخ العراق ، ص ٦٦ .
٧. فامبري ، ارمينوس ، تاريخ بخارى ، ص ١٣٠ - ١٣١ .
٨. ابن الوردي ، تاريخ ، ص ٤٨١ ؛ مستوفي قزويني ، تاريخ كزيدة ، ص ٩ ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ج ٣ ، ص ٦٤ ؛ المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ط ١ ، طبعة ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م ، ج ١ ، ص ٣١ ؛ فامبري ، ارمينوس ، تاريخ بخارى ، ص ١٢٩ ؛ ادريس ، محمد محمود ، تاريخ العراق ، ص ١٦٣ .
٩. البيهقي ، تاريخ ، ص ٥٧١ - ٥٧٤ ؛ ادريس ، محمد محمود ، تاريخ العراق ، ص ١٦٣ .
١٠. البيهقي ، تاريخ ، ص ٥٧١ - ٥٧٤ ؛ ادريس ، محمد محمود ، تاريخ العراق ، ص ١٦٣ .
١١. البيهقي ، تاريخ ، ص ٥٧٤ ؛ ادريس ، محمد محمود ، تاريخ العراق ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .
١٢. حسنين ، د. عبد النعيم محمد ، سلاجقة ايران والعراق ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط ٢ ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٧٠ م ، ص ٥٣ ؛ حلمي ، د. احمد كمال الدين ، السلاجقة في التاريخ والحضارة ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، بلا . ت ، ص ٣٤ .
١٣. ابن الاثير ، الكامل ، ج ٧ ، ص ٢٩٧ ؛ بارتولد ، تركستان ، ص ٤٦٢ .
١٤. بارتولد ، تركستان ، ص ٤٥٩ - ٤٦١ و ص ٤٦٣ .
١٥. حلمي ، د. احمد كمال الدين ، السلاجقة ، ص ٣٦ .
١٦. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٠٦ ؛ بارتولد ، تركستان ، ص ٤٦٢ - ٤٦٣ ؛ الغامدي ، سعد بن محمد ، الفتوحات الاسلامية ، ص ٣٦٠ .
١٧. بارتولد ، تركستان ، ص ٤٦٣ .
١٨. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٢ ، ص ١٠٦ ؛ بارتولد ، تركستان ، ص ٤٦٣ .

١٩. مرغينان : هي مدينة من مدن بلاد ما وراء النهر ومن اشهر نواحي فرغانة ، وهي صغيرة وجامعها ناءٍ عن الاسواق وعلى بابها نهر . ينظر : المقدسي ، احسن التقاسيم ، ج٢ ، ص٢٧٢ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٠٨ .
٢٠. اخسيكت : هي قسبة فرغانة ، وهي مدينة كبيرة تحيط بها الاشجار والانهار الفائضة اليها مع عمارة ، وهي خصبة ، ولها مدينة داخلية يتخللها عدد من القنى فتنتقل في حياض مصهجة مبنية من الآجر والجص ، فيها جامع ، ولها ريبض وبنائوها من الطين ، وهي من انزه بلاد ما وراء النهر . ينظر : المقدسي ، احسن التقاسيم ، ج٢ ، ص٢٧١ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص١٢١ .
٢١. تونكت : وهي قسبة بلد ناحية ايلاق من بلاد ما وراء النهر من بلاد الشاش المتصلة ببلاد الترك على نحو عشرة فراسخ وهي تقع على جرف ، وهي كبيرة عامرة ولها قهندز ودار الامارة يقع في القهندز والجامع خارجه وفيها اسواق ، وفيها ماء جار يدخل المدينة . ينظر : المقدسي ، احسن التقاسيم ، ج٢ ، ص٢٧٧ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٢٩٧ .
٢٢. بارتولد ، تركستان ، ص٤٦٣ .
٢٣. بارتولد ، تاريخ الترك ، ص١١ ؛ ادريس ، محمد محمود ، تاريخ العراق ، ص١٦٤ .
٢٤. محمود ، حسن احمد ، الاسلام في اسيا الوسطى ، ص٨٨ ؛ ادريس ، محمد محمود ، تاريخ العراق ، ص١٦٥ .
٢٥. الغامدي ، سعد بن محمد ، الفتوحات الاسلامية ، ص٣٦٥ .
٢٦. ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص١٤٨ ؛ بارتولد ، تركستان ، ص٤٦٥ ؛ الغامدي ، سعد بن محمد ، الفتوحات الاسلامية ، ص٣٦١ .
٢٧. ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص١٤٩ ؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٦٦ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص١٣٥ ، بارتولد ، تركستان ، ص٤٦٥ .
٢٨. ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص١٤٩ ؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٦٦ ؛ بارتولد ، تركستان ، ص٤٦٥ .
٢٩. ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص١٤٩ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج٤ ، ص٥١٨ ؛ بارتولد ، تركستان ، ص٤٦٥ .
٣٠. ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص١٤٩ ؛ بارتولد ، تركستان ، ص٤٦٥ - ص٤٦٦ .
٣١. أتباش : لم أتمكن من العثور على معلومات عن هذه المدينة .
٣٢. النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص٤٩ ؛ بارتولد ، تركستان ، ص٤٦٦ .
٣٣. النرشخي ، تاريخ بخارى ، ص٤٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج٧ ، ص٢٩٧ و ج٨ ، ص١٧٥ ؛ ابو الفداء ، المختصر ، ج٣ ، ص١١٩ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج٤ ، ص٥١٨ ؛ السيوطي ، جلال الدين عبد



- الرحمن ، تاريخ الخلفاء، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة العاني ، القاهرة ، ط٢ ،  
١٣٨٣هـ/١٩٦٤م ، ص٢٦٤ ؛ بارتولد ، تركستان ، ص٤٦٦ .
- ٣٤ . بارتولد ، تركستان ، ص٤٦٦ .
- ٣٥ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص١٢١ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج٤ ، ص٥١٩ ؛ بارتولد ، تركستان ،  
ص٤٦٧ .
- ٣٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص٢١٢ - ص٢١٣ و ج٩ ، ص٢ ؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ،  
ص٢٤٠ ؛ حلمي ، د. احمد كمال الدين ، السلاجقة ، ص١٠٨ ؛ بول ، ستانلي لين ، الدول الاسلامية  
، ج١ ، ص٣١٣ .
- ٣٧ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص٢١٣ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج٤ ، ص٥١٩ .
- ٣٨ . ابن خلدون ، تاريخ ، ج٤ ، ص٥٢١ ؛ حلمي ، د. احمد كمال الدين ، السلاجقة ، ص١٠٨ .
- ٣٩ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٨ ، ص٢٦٦ - ص٢٦٧ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج٤ ، ص٥٢٠ .
- ٤٠ . بارتولد ، تركستان ، ص٤٥٠ .
- ٤١ . بارتولد ، تركستان ، ص٤٥٠ ؛ بوزورث ، الايلكخانية أو القره خانية ، بحث منشور في دائرة المعارف  
الإسلامية ، مج٥ ، مادة الايلكخانية ، ص٤٠٢ .
- ٤٢ . بوزورث ، الايلكخانية أو القره خانية ، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية ، مج٥ ، مادة الايلكخانية  
، ص٤٠٢ .
- ٤٣ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٩ ، ص٣ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج٤ ، ص٥٢١ - ص٥٢٢ .
- ٤٤ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٩ ، ص٣ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج٤ ، ص٥٢٢ .
- ٤٥ . بلاد الغور : هي ولاية تقع بين مدينتي هراة وغزنة ، وهي بلاد باردة واسعة موحشة وفيها قلعة تسمى  
فيروزكوه يسكن ملوكها فيها ، اتخذها الغوريون قاعدة لحكمهم ، فيها جبال عامرة ذات عيون وبساتين  
وانهار وهي خصبة ومنيعة . ينظر : الاصطخري ، مسالك الممالك ، ص١٥٣ و ص١٥٧ ؛ ياقوت  
الحموي ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص٢١٨ .
- ٤٦ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٩ ، ص٣ - ص٤ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج٤ ، ص٥٢٢ .
- ٤٧ . وادي ديرغم ، او (الدرغم) : هو احدى الرساتيق الشمالية يتاخم اشروسنة ، تكثر فيه المراعي والمزارع .  
ينظر : المقدسي ، احسن التقاسيم ، ج٢ ، ص٢٧٩ .
- ٤٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج٩ ، ص٤ ؛ البنداري ، تاريخ دولة آل سلجوق ، ص٢٥٤ - ص٢٥٥ ؛ ابن  
خلدون ، تاريخ ، ج٤ ، ص٥٢٢ - ص٥٢٣ .

٤٩. ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩١ ؛ الذهبي ، دول الإسلام ، ج ٢ ، ص ٨٢ ؛ الغساني ، العسجد المسبوك ، ج ٢ ، ص ٣١٤ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ١٢٢ ؛ العبود ، د. نافع توفيق ، الدولة الخوارزمية ، ص ٣٦ ؛ الغامدي ، سعد بن محمد ، الفتوحات الإسلامية ، ص ٤٥٤ .
٥٠. ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩١ ؛ الغساني ، العسجد المسبوك ، ج ٢ ، ص ٣١٤ ؛ العبود ، د. نافع توفيق ، الدولة الخوارزمية ، ص ٣٦ .
٥١. ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩١ ؛ الغساني ، العسجد المسبوك ، ج ٢ ، ص ٣١٤ ؛ العبود ، د. نافع توفيق ، الدولة الخوارزمية ، ص ٣٦ - ٣٧ .
٥٢. ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩١ - ٢٩٢ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٤٧ - ٤٩ ؛ الذهبي ، دول الإسلام ، ج ٢ ، ص ٨٢ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .
٥٣. لمزيد من التفاصيل ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٤٨ ؛ الذهبي ، دول الإسلام ، ج ٢ ، ص ٨٢ ؛ الغساني ، العسجد المسبوك ، ج ٢ ، ص ٣١٧ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ١٢٢ - ١٢٣ .
٥٤. ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩٤ ؛ الذهبي ، دول الإسلام ، ج ٢ ، ص ٨٣ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ١٢٤ .
٥٥. لمزيد من التفاصيل ينظر : ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩٤ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .
٥٦. لمزيد من التفاصيل ينظر : ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .
٥٧. ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩٥ .
٥٨. النظامي العروضي السمرقندي ، جهار مقالة ، ص ١٤١ ؛ محمد عوفي ، لباب الالباب ، ص ٥٧٠ ؛ ابن الاثير ، الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٩٥ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ١٢٥ ؛ سليمان ، د. أحمد السعيد ، تاريخ الدول الإسلامية ، ج ١ ، ص ٢٨٢ ؛ بول ، ستانلي لين ، الدول الإسلامية ، ج ١ ، ص ٢٧٧ ؛ زامباور ، ادورد فون ، معجم الانساب ، ص ٣١٣ و ٣١٥ .
٥٩. الايلكخانية أو القره خانية ، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية ، مج ٥ ، مادة الايلكخانية ، ص ٤٠٥ .
٦٠. لمزيد من التفاصيل ينظر : ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٣٣٨ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .
٦١. الايلكخانية أو القره خانية ، بحث منشور في دائرة المعارف الإسلامية ، مج ٥ ، مادة الايلكخانية ، ص ٤٠٥ .

